الفصل الثاني:

البناء الفكري ومستوياته

مقدّمة:

يتخصص هذا الفصل الثاني بالحديث عن البناء الفكري، وتمثلاته في الاصطلاحات المعاصرة. وينظر إلى البناء الفكري، بوصفه "عملية" تتم وفق تصور معين، وتمر بمراحل متتابعة، وتصل إلى مستويات متعددة، يكون كل مستوى منها عَلَماً على شخصية من الشخصيات المعروفة في الثقافة المعاصرة، فهناك المفكر، والمثقف، والعالم، والداعية، والمصلح، والفيلسوف، ولكل منهم بناؤه الفكري. كما ينظر الفصل إلى البناء الفكري بوصفه تغيراً في الزمان، وحركة في المكان، وهو وصف للفرد ووصف للجماعة، ووصف للأمة، ولذلك تناولنا بالمعالجة العلاقة بين حركة الفكر وفكر الحركة، وتحدثنا على البنى الفكرية للحركات والمدارس الفكرية وما يميز كلاً منها عن غيرها.

وقد شهد التاريخ الإسلامي استخداماً مكثفاً لمصطلحات مثل العلم والفقه، بصورة تجعل بعض الناس ينفرون من استخدام مصطلحات أخرى مثل مصطلح الفكر مؤشراً على قيمة العطاء الذي يحمله الفرد أو الجماعة، ولذلك جرى التأكيد على أننا لا نود أن نجعل

هذه المصطلحات متقابلة وبديلة لبعضها بعضاً. فالسياق هو الذي يحدد المصطلح المناسب، ولكل مصطلح قيمته والمقام الذي يصلح له أكثر من غيره، وسوء الاستخدام يمكن أن يقع على أي مصطلح.

أولا: البناء الفكري، بناء لكنه في الفكر

البناء الفكري؛ كلمتان مفتاحيتان في النشاط البشري، كل منهما مصدر لفعل، وكل منهما يشير إلى الفعل وإلى نتيجة ذلك الفعل؛ فالفكر موضوع يتم بناؤه، والبناء عمل موضوعه الفكر. والعمل بالفكر من أشرف الأعمال، والفكر لا يدخل إلى الإنسان جسماً كاملاً، ولا يأخذه الفرد ممن يعطيه إياه كتلةً كاملة، لتنتقل ملكيتُه من الـمُعْطِي إلى الآخِذ، إنما يَبْنِيه الإنسان بناءً، لبنةً بعد أخرى.

مفهوم البناء يصاحبه التخطيط والتصميم والتنظيم، ويقابله التكديس والتجميع العشوائي، ومفهوم الفكر يصاحبه العلمُ في تَمَكُّن، والثقافةُ في إحاطة، والوعي في رشد، ويقابله تقليد بلا علم، وتبعية بلا هدى، وتعصب أعمى دون نظر، فالذي لا يملك فكراً يقوم بما يقوم به من أعمال انقياداً لهوى متَّبَع، سواءً كان هوى نفسه، أو هوى غيره.

والفكر هو نتاج عملية التفكير، وعملية التفكير نشاطٌ ذهني داخلي يقوم به الإنسان بصورة واعية أو غير واعية، وهذه العملية تتضمن مرور الخواطر والتخيلات والمدركات الحسية أو الانفعالية،

التي تسبق أو ترافق قيام الإنسان بأي سلوك أو تصرف خارجي. لذلك فالفكر جهد بشري يلحقه الصواب والخطأ، فلا يتصف بالعصمة ولا القداسة. وبقدر ما يكون هذا الفكر مستنداً إلى نقلٍ صحيحٍ وعقلٍ صريحٍ، ومنسجماً مع الطبائع والوقائع، يكون الفكر أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ.

ويميز عالِمُ النفس الإسلامي مالك بدري بين التفكير بوصفه عمليةَ مرور الخواطر في الذهن البشري بصورة تقليدية عادية، والتفكّر الذي عدَّه منزلة أرقى من التفكير، فهو جهد مقصود للوصول إلى الحقيقة في أمر يطلب الإنسانُ إدراكَه، وذلك عن طريق تَعَقّلِ الأمر، وتصرُّفِ القلب، وطلب الدليل والتأمل فيه. والتذكّر نوع من التفكُّر يتضمن استحضار الذهن ما كان يعلمه الإنسان عن الموضوع، وما يقابله ويقاربه فلا يغفل، وليكون التذكّر موعظة وتبصرة. أما التدبُّر، فإنّه يتجاوز كل ذلك إلى النظر في عواقب الأمور.[1]

---

(١) بدري، **التفكر من المشاهدة إلى الشهود: دراسة نفسية إسلامية**، مرجع سابق، ص ٣٥-٤٧. ينصح بدراسة هذا الكتاب الصغير، ففيه بيان تفصيلي لعلاقة الفكر بالتفكير والتفكر والتدبر والتذكر، وهي دراسة تفصيلية تجمع إلى النصوص الدينية معطيات التراث الإسلامي وعلم النفس المعاصر ونظريات التعلم، وعلاقة التفكير باللغة، وعلاقة التفكر بما هو معروف عن الطريقة العلمية، في بحوث العلوم المادية والتطبيقية.

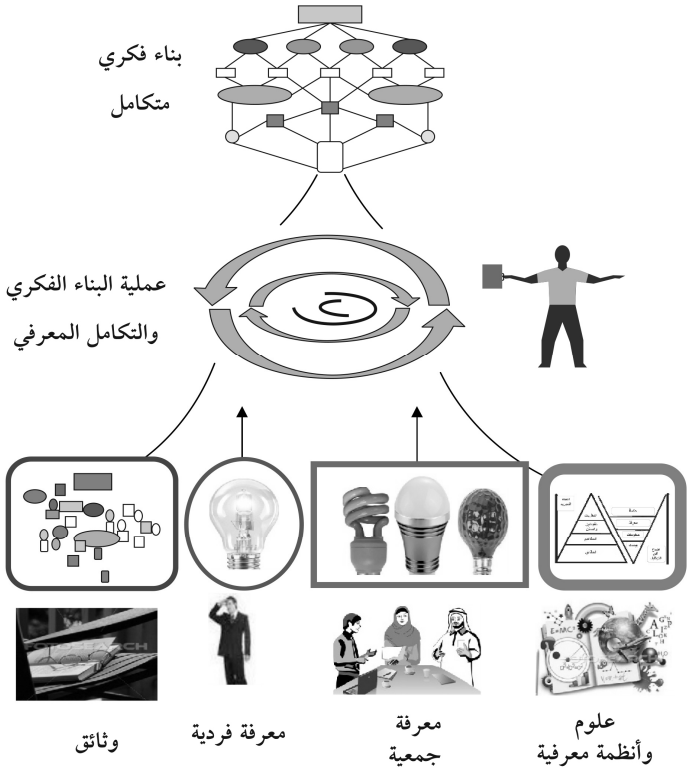

مخطط تمثيلي يوضح مصادر البناء الفكري وعملية البناء

ثانياً: مراحل بناء الفكر ومستوياته

يتعمق "مالك بدري" في قراءة مادة التفكّر في التراث الإسلامي، ثم يستحضر حال الإنسان المؤمن في علاقته بالله عز وجلّ، ويستنتج من خلال ذلك وجود أربع مراحل يمكن أن يمر بها التفكّر البشري.

يشترك سائر الناس من مؤمنين وغير مؤمنين في المرحلتين الأولى والثانية، وينتقل المؤمنون إلى المرحلة الثالثة، وينتقل بعضهم إلى المرحلة الرابعة، ولا يطلق "مالك بدري" أسماء محددة على المراحل الثلاثة الأولى، باستثناء المرحلة الرابعة التي يسميها مرحلة الشهود.

والجدول الآتي يوضع هذه المراحل ودلالاتها:

مراتب التفَكُّر عند مالك بدري

مستوى التفَكُّر	خصائص المستوى
الرابع: الشهود	حالة وجدانية يترقى صاحبها في التأمل والذكر والحب، حتى يستشعر حضوره مع الملأ الأعلى.
الثالث: الإيمان	من الإحساس بالجمال الكوني، إلى اكتشاف مبدع هذا الجمال، والاعتراف بعظمته وفضله.
الثاني: التذوق الوجداني	الانتقال من الوعي البارد بالعالم، إلى ازدواج الوعي بالإحساس بالجمال والإتقان.
الأول: الإدراك المادي	مدركات حسية أو استحضار لوقائع حسية أو تحليل لمفاهيم نظرية

ولمالك بن نبي فكرة لطيفة في التمييز بين البناء والتكديس، وذلك في حديثه عن البناء الحضاري؛ إذ يتحدث عن العالم الإسلامي الذي بقي دهراً طويلاً خارج التاريخ، لكنه انتبه في نهايات القرن

التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، على صيحات إصلاحية تدعو إلى النهوض الحضاري، لكن جهوده في السعي إلى ذلك اكتفت باستيراده منتجات الحضارة من الآخرين، والحضارة في حقيقتها منتجات مادية لها روحها فكرها وأدواتها وأنظمتها، التي لا تباع ولا تعار؛ لأنَّها تمثل الخصائص الذاتية للحضارة وللمجتمع الذي يبني تلك الحضارة، والمجتمع الذي يستورد المنتجات مع فكرها وروحها يكون قد فقد هويته الحضارية وأصبح امتداداً للمجتمع الذي استورد منه منتجاته، أما المجتمع الذي يستورد منتجات الحضارة دون روحها وفكرها، فإنه يقوم بتكديس هياكل لا روح لها، وتجميع أكوام من الأشياء لا فكر فيها.

إنَّ الحضارة في كل مجتمع -في رأي مالك بن نبي- هي التي تلد منتجاتها، وتطبعها بروحها وفكرها، والعالم الإسلامي لم يتمكن من بناء حضارة، لأنَّه اقتصر على تكديس المنتجات المادية.

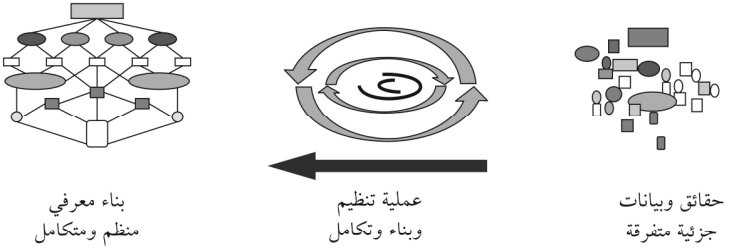

من التكديس إلى البناء

وبناءُ الحضارة عند مالك بن نبي يتم وفق معادلة تتفاعل فيها ثلاثة عناصر هي:

- الإنسان، بما يمثلة من طاقات الفكر والإبداع.
- والتراب (الأرض) الذي يمثل الإمكانات المادية والاقتصادية.
- والوقت (الزمن) الذي يتم فيه نمو الخبرة وإنضاجها.

ولا يتم التفاعل بين هذه العناصر الثلاثة إلا بعامل مساعد هو الشعلة الروحية (الدين) التي تتمثل بقوة العاطفة، وطاقة الوجدان.[1]

مكونات البناء الحضاري عند مالك بن نبي

لكن رغم مظاهر الانسجام في مستوى عالم الأفكار، إلا أن هذا لا يعني أن عالم الأفكار نموذج واحد، ولا يعني أن صيغ التفكير ومستوى المعرفة لها مسمى واحد، لأنّ ثمة أشخاص يحملون أوصافا فكرية وسلوكية متمايزة، والجدول الآتي يوضح ذلك :

(١) ابن نبي، مالك. **شروط النهضة**، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦، ص ٦٣.

الصّنف	الأوصاف
المتخصص	من يتخصص في علم معيّن سواء كان علماً مثل علم الاجتماع، أو فرعاً من فروع ذلك العلم، مثل علم الاجتماع الدّيني
العالم	من يتعمق في تخصصه، ويبدع فيه، ويضيف إليه، ويحل مشكلاته المتداولة بين المختصين.
المثقف	قد يكون صاحب تخصص وعالماً وقد لا يكون، وتكون له اهتمامات عامة لغوية أو فنية أو سياسية، يمتلكها نتيجة جهده الذاتي في البناء، عن طريق القراءات والمحاورات.
الداعية	من يكون صاحب علم وثقافة أو فكر، ويتجاوز هذا، إلى محاولة التأثير في الآخرين، لينقلهم من حالة فكرية أو سلوكية، إلى حالة أخرى يرى بأنها الأقوم.
المصلح	من تكون له رؤية محددة في تغيير الواقع وإصلاحه، وحل مشكلاته، لا سيما العامة منها، في المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.
الفيلسوف	يتميَّز بروح نقدية تجاه حالة المجتمع والعالم والأفكار السائدة، ويكشف تناقضاتها، ويصوغ آراءه في مفاهيم ونظريات إصلاحية تتصف بالعمق والجدة والتماسك.

لقد تَبَيَّن لنا أنَّ الفكرَ هو المضامين المميِّزة التي تَصِف حالةَ الشخصيَّة التي نُسمِّيها المفكِّر، ومع ذلك تكون بعض هذه المضامين

مشتركةً -في مستوياتٍ متفاوتة- مع الشخصيات الأخرىٰ: العالم والمثقف والفيلسوف...إلخ. لكنَّ هذه المضامينُ تكون واضحةً ومستقرةً لدىٰ كل شخصية من هذه الشخصيات، حتىٰ إنَّك تستطيع أن تصفَ البنية الفكرية، أو البناء الفكري، في كل شخصية منها، وتستطيعُ أن تتحدَّث عن درجة الغنىٰ والثراء الفكري لدىٰ أمثلةٍ ونماذجَ وأسماء من أيَّة فئةٍ من فئات الشخصية المشار إليها، فتقارن مثلاً بين مستويات العمق والتنوع في الغنىٰ الفكري بين عدد من المثقفين، أو بين عدد من العلماء... إلخ.

ثالثاً: حوار العلم والفكر

حين يكون حديثنا في هذا المقام عن الفكر، فإنّنا نأمُل أن لا يخطر ببال القارئ أنَّ الإعلاء من شأن الفكر هو تقديس للأفكار التي يأتي بها الإنسان، فحديثنا هنا عن الفكر الإنساني الذي هو مظنة الصواب والخطأ، ونأمُل كذلك أن نلتمس ما كان صواباً من الفكر، وفق المرجعية الإسلامية التي نتبنّاها، فالصوابُ من الفكر صوابٌ؛ لأنَّه حقٌّ في ذاته، ولأنَّه -في مجال الفكر الإسلامي- موافق لما كان معلوماً من الدين بالضرورة، ولأنَّه فهمٌ صحيح في ذاته، وعميق في مستواه، ومفيد عند تطبيقه.

ونأمُل كذلك أن لا يكون حديثنا عن الفكر عزوفاً عن الحديث عن العلم، فبعض طلبة العلم، لا سيّما العلم الشرعي، يفضّلون

استخدام مصطلح العلم، والدخول إليه من أبوابه المألوفة في متون العلم وكتب التراث، بدءاً من الحديث عن فضل العلم والعلماء، والحث على طلب العلم. وبعض طلبة العلم الشرعي ينقلون عن أساتذتهم ومن كتبهم روح التعصب لفرع من فروع العلم، فيرون أنَّ أشرف العلوم هو علم الفقه، أو علم الحديث، أو علم التفسير...إلخ. والأولى أن يكون شرف العلم ما كان العلمُ من أجْلِه؛ من ارتقاء في مقدار الصلة بالله والنفع لخلق الله، ويزداد شرف أيِّ علم عندما تقوى الرغبة فيه، وتلحُّ الحاجة إليه.(١)

وفي المقابل فإن بعض المثقفين أو من يدّعون الثقافة، وبعض المفكرين أو من يدّعون الفكر، يظنُّون أن التخصصات العلمية سواءً كانت في علوم الشريعة أو العلوم الطبيعة أو حتى العلوم التطبيقية هي سجون علمية لا تتعامل إلاّ مع جزئيات العلم وتفاصيله، بينما تَحْرِمُ من يكون في داخلها من أنسام الثقافة ورياح الفكر، التي يكون معها الاهتمام بقضايا المجتمع والأمة، والإسهام في جهود إصلاح الواقع وتطويره. وإذا كان في بعض الظن حق، فإننا لا ينبغي أن ننسى أسماء علماء بارعين في علومهم، وهم في الوقت نفسه في قمة الثقافة أو في قمة الفكر.

---

(١) النملة، علي بن إبراهيم. **الفكر بين العلم والسلطة؛ من التصادم إلى التعايش**، ط٢، الرياض: العبيكان للنشر، ٢٠٠٧م، ص١٢-١٦.

والذي نؤكّد عليه هنا أنّنا لا نقارن بين العلم والفكر، لنعطي الأفضلية لأحدهما على الآخر، مثلما أنّنا لا نعطي الفكر أولوية على الثقافة، أو الدعوة، أو الفلسفة. ويمكننا أن نقول: إنَّ العلم فكر، وإنَّ الثقافة فكر، وإنَّ الفلسفة فكر، فكل ذلك فكر إنساني، وكلّه نتيجة للتفكير الذي يقوم به الإنسان، ولكنه فكر بمستويات مختلفة وبمواصفات مختلفة، وربما يكون كلّه حقاً، ونجتهد في أن نتعامل معه بوصفه فكراً إسلامياً. وليس لدينا ما يسوِّغ رفض القول الآخر الذي يرى أنَّ الفكر علم، وأنَّ الثقافة علم، وأن الفلسفة علم، على أساس أنَّ العلم في سياق المعرفة البشرية هو ما عَلِمَه الإنسان في مستوى من المستويات أو موضوع من الموضوعات. وجاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نهج البلاغة: "... وَلاَ عِلْمَ كالتفكُّر، ... وَلاَ شَرَفَ كالعِلْم..."[1]

والتمييز بين العلم والفكر على أساس مدى توافر المنهج في أيّ منهما لا يفيد كثيراً؛ لأنَّ المنهج يمكن أن يكون ادعاءً لا حقيقة، وأنَّ المنهج قد يكون صراطاً مستقيماً إلى الحقيقة، وقد يكون طريقاً إلى الضلال. والتمييز بين المفهومين على أساس مدى توافر الدليل، لا يفيد كثيراً؛ للسبب نفسه، فقد يكون الدليل واضحاً في تأييد العلم أو

(١) ابن أبي طالب، علي أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **نهج البلاغة**، مختارات: الشريف الرضي، شرح: الإمام محمد عبده، بيروت: دار المعرفة، ج٤، ص ٢٧.

تأييد الفكر، وقد يكون وهماً لا قيمة له في تأييد أيّ منهما.

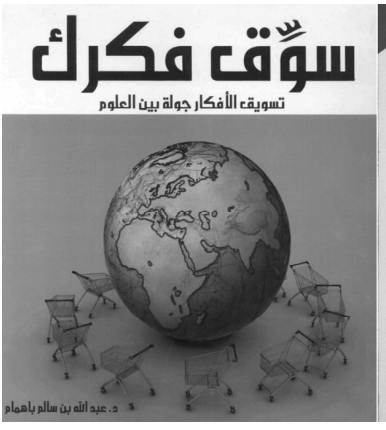

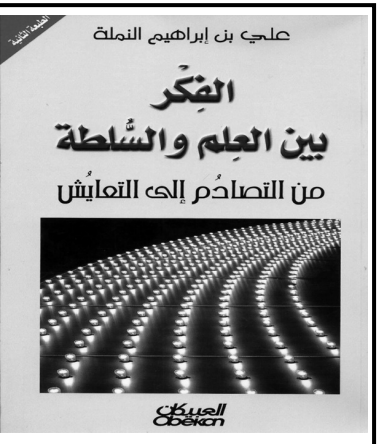

القراءة الفكرية

هذان كتابان عن الفكر، لكل منهم غرض مختلف عن الآخر. الدكتور على بن إبراهيم النملة أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض متخصص في علم المكتبات والمعلومات. والدكتور عبد الله بن سالم باهمام مشرف تدريب في إدارة التدريب التربوي بالرياض، ومتخصص في إدارة الأعمال والإعلام (التسويق).

الكتاب الأول في الأصل مجموعة مقالات قصيرة في الجرائد اليومية، يجمعها خيط واحد عبَّر عنه عنوان الكتاب. والكتاب الثانى كتاب منهجى متماسك في محتواه وفي الغرض منه، وهو مادة للتدريب.

الكتابان يتحدثان عن الفكر، بتفاصيل كثيرة، ولكن لكل منهما فكرة مركزية يريد المؤلف أن يقدمها للقارئ، وقد لا تكون الفكرة مبسوطة في عبارة من عبارات الكتاب بصورة مباشرة، وإنما قد تكون متضمنة بصورة غير مباشرة، تكشف عنها "القراءة الفكرية" للكتابين. القراءة الفكرية هى قراءة القارئ، وقد لا تكون متطابقة بالضرورة مع فكرة المؤلف.

رابعاً: حركة الفكر وفكر الحركة

لا يحدث التشكُّل الفكري عند الفرد بصورة مستقلة عن الظروف التي تتشكل فيها نفسية الفرد وعقليته. فثمّة عوامل عديدة تسهم إيجاباً أو سلباً في هذا التشكل. وبعض الأفراد يتأثرون أكثر من غيرهم بهذه العوامل، ويتأثرون بهذه العوامل في بعض مراحل النمو أكثر من مراحل أخرى. ونظراً لأنَّ المفكر أو الشخص الذي يمتلك قدارت فكرية محددة لا يولد حاملاً هذه الصفة، وإنَّما يبدأ كما يبدأ أيُّ فرد بشري؛ لا يعلم شيئاً، فإنَّه يكون قد تأثَّر في مراحل تَشَكُّله الفكري بكل العوامل التي تؤثر في هذا التشكُّل، فهو يتشرب، بوعي أو دون وعي، مشاعر الانتماء للدين والطائفة والمذهب، وتصبح هذه المشاعر فيما بعد حقائق فكرية يجري تبنِّيها بقوة أحياناً، وتستنفر من أجلها الحجج والأدلة الفكرية. وقد تؤثر هذه البيئة سلباً على الفرد، وتحدث رد فعل عكسياً، حين تتولد لديه كراهية لما عرفه في بيئته من أفكار، ويبحث جاهداً لنقضها، والتبرؤ منها.

ولا شك في أنَّ التنشئة الأسرية والتعليم المدرسي وخبرات الحياة، وفرص الانتماء لمدرسة فكرية أو حركة ذات مرجعية فكرية... لا تكون على صورة واحدة، فيما توفره من بيئة للنمو والتشكل الفكري، لذلك فإن من المهم فهم العلاقة بين الحركة والفكر والمشترك بينهما في المكونات، والتفاعل في الوظائف.

ونستطيع أن نقرر سلفاً صعوبة تصور حركة لا فكر لها، ويبقى السؤال عن نوع الفكر الذي تتبناه الحركة، وحضور المفكرين في صفوفها، وقيمة الفكر في جهودها، وبرامجها في تنمية الفكر وتجديده وتوسيع آفاقه. ومع أننا نستطيع أن نقول إن الفكر هو حركة العقل، حين يبدع عقل المفكر فكرته، وبذلك يكون الفكر والحركة مفهومين متلازمين، فإننا نستطيع كذلك أن نتصور وجود أفكار تفتقد الحركة بعد إنتاجها، لغياب من يحملها ويتحرك بها، وفي هذه الحالة فلن يكون لهذه الأفكار من القيمة والأهمية ما يمنحها الحركة المنشودة في التأثير والفاعلية والتغيير.

ولو حللنا واقع الحركات المعاصرة سواءً كانت حركات اجتماعية أو سياسية أو فكرية أو عسكرية، فإننا سوف نلاحظ أن مصطلح الحركة يشير أساساً إلى الرغبة في تغيير الواقع السائد، وبذلك فإن مفهوم الحركة يعني وجود جماعة أو تنظيم يتحرك في الواقع القائم من أجل تغييره، ويستخدم من أجل ذلك وسائل معينة للتغير.

لقد كان الإسلام حركة في الواقع القائم حين نزوله، وبعد استتباب الأمر للدولة والمجتمع الإسلامي، على صورة معينة للفهم والممارسة، نشأت حركات معارضة، لا سيّما في نهاية خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودعا بعضها إلى فرض ما تبنته هذه الحركات من فهم مخالف لما كان سائداً، واستخدمت العنف في محاولة تحقيق رؤيتها الثورية المعارضة.

وهناك دراسات عديدة حاولت التأريخ لنشأة الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي، تتحدث عن الحركات والأفكار التي تبنتها هذه الحركات، منها ما نشرته مجلة المسلم العاصر سنة ٢٠٠١م.[١] ونكتفي بالإشارة إلى مصطلح حركة الفكر وفكر الحركة، وإلى بعض الكتابات التي استخدمت هذا المصطلح، لا سيما كتابات طه جابر العلواني وأحمد الريسوني.

فالعلواني ربما كان يريد بهذه المصطلح شيئاً مختلفاً عن الدلالة التي ينصرف إليها الذهن في غالب الأحيان. فقد ركزت إشارته الموجزة على ما سماه المؤلف "حركة الأمة" وما تحتاجه من الجهد لبلورة "المنظومة الفكرية الإسلامية المعاصرة والبديلة" والهدف هو "أن نغذي حركة الأمة بالزاد الفكري المطلوب الذي تفتقر إليه."[٢] وهو لم يكن معنياً بفكر الحركة بمعنى الأفكار التي تتبناها الحركات الإسلامية، بقدر ما كان معنياً بفكر الأمة وحركة الأمة بهذا الفكر، ومن ثم حركة الفكر في الساحة الإسلامية.

---

(١) الزفتاوي، عصام الدين. "حوارات حول حركة الفكر الإسلامي المعاصر خلال القرن العشرين – دراسة وتحليل"، **مجلة المسلم المعاصر**، العدد ٩٨، السنة ٢٥، اكتوبر-ديسمبر ٢٠٠٠م، ص ١٣٩-١٨٧.

(٢) العلواني، طه جابر. **إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات؛ ورقة عمل**، سلسلة إسلامية المعرفة رقم ١٠، هيرندن والرياض: المعهد العالمي للفكر الإسلامي والدار العالمية للكتاب الإسلامية، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٤٣.

أما الريسوني فقد أورد في مقالة قصيرة بعنوان:"الحركات الإسلامية في فكر الحركة وحركة الفكر." جاءت ضمن أوراقه النقدية.[1] وقد لاحظ الريسوني أن نشأة الحركات الإسلامية المسكونة بالهمّ السياسي قد رافقه ضعف في تكوين العلماء والمفكرين والباحثين. ومن ظهر في الحركات من هؤلاء ظهر عرضاً. وما نشأ في فكر للحركة كان فكراً: "في خدمة الحركة ومتطلبات المعركة، فكر يدافع عن خط الحركة، وعن مواقف الحركة، وعن تعليمات الحركة، وعن اختيارات الحركة، وعن مصلحة الحركة. فهذا هو «فكر الحركة»، وهو في الحقيقة أقرب إلى ما يسمى -بصفة عامة- بالفكر الحزبي أو العقلية الحزبية. ولذلك "فقد عجز فكر الحركة هذا على عن مواكبة التطورات والمستجدات، سواء داخل الحركات الإسلامية نفسها أو فيما حواليها".

وإذا كان الريسوني يتفهم ظروف نشأت الحركة الإسلامية في صورة «حركة تحريرية... بحاجة ماسة إلى فكر نضالي منضبط ومتمذهب باختياراتها،" فإنه يقرر أن الحركة الإسلامية اليوم "قد

---

(١) وردت هذه المقالة على الموقع الإلكتروني للدكتور أحمد الريسوني مؤرخة في ١١/ ٥/ ٢٠٠٥م ضمن سلسلة من المقالات في نقد الحركة الإسلامية، وقد نشرت المقالة في مواقع إلكترونية كثيرة وشارك في الحديث عنها والإشارة إليها كثير من الكتاب. انظر المقالة في موقع الريسوني على الرابط:

- http://www.widesoft.ma/raissouni/def.asp?codelangue=6&info=347

أصبحت اليوم مدعوة وملزمة بأن تكون حركة اجتهادية تجديدية، في نفسها وفي مجتمعها، فلذلك أصبحت في أمس الحاجة إلى الفكر الحرّ وإلى الفكر المبدع، فهي بحاجة إلى أن تطلق وتدفع «حركة الفكر» من غير خضوع وتبعية لفكر الحركة."

خامساً: المدارس الفكرية

شهد النصف الثاني من القرن العشرين مجموعة من الشخصيات التي اهتمت بالفكر الإسلامي، بعضها كان ضمن الحركات والأحزاب والتنظيمات الإسلامية، وبعضها تعامل مع الفكر الإسلامي من موقف ناقد للتوجهات الفكرية التقليدية سواءً السلفية التراثية أو التجديدية العصرية، واتخذ مساراً متحرراً من هذه التوجهات يجتهد في ممارسة المنهجية التي عرفتها مذاهب الحداثة الغربية، أو مذاهب ما بعد الحداثة، وكانت بعض هذه الممارسات علنية صريحة، وبعضها ضمنية باطنية.

حين يكون الحديث عن الفكر لدى الفرد الإنساني، يمكن أن نقول: إنَّ لدى ذلك الفرد بناءً فكرياً معيناً، أو أنه مفكر. لكن البناء الفكري يمكن أن يكون صفة لمجموعة من الناس يشتركون في أنهم يملكون بناءً فكرياً واحداً، أو ينتمون إلى مدرسة فكرية واحدة. والمدرسة الفكرية قد تكون جمعية إصلاحية، أو حركة دينية، أو حزباً سياسياً، أو جماعة علمية في تخصص معين، وقد تكون تياراً فكرياً

واسعاً يشمل قطاعات كبيرة من المجتمع، أو تغلب على المجتمع كله. وقد يغلب على أتباع المدرسة الفكرية منهج محدد في النظر إلى الأمور وممارسة التفكير والبحث والسلوك ضمن هذا المنهج، كما هو الحال في المدرسة الصوفية أو المدرسة السلفية، أو الفلسفية. كما قد تتميز مناهج النظر بين المدارس الفكرية في صورة مذاهب فقهية مختلفة.

ومن الأمثلة على المدارس الفكرية: جماعة الإخوان المسلمين، وحزب التحرير الإسلامي، ومدرسة فرانكفورت في الفلسفة، ومدرسة شيكاغو في الاقتصاد، ومدرسة فيينا الوضعية، ومدرسة إسلامية المعرفة، والمدرسة السلفية.

وتتميز المدرسة الفكرية غالباً بوجود عدد من الرواد التي يُرجَع إلى كتاباتهم في توضيح مقولات هذه المدرسة، يشتركون في مجموعة من الأفكار، ومجموعة من الآمال والطموحات، التي يسعون إلى تحقيقها، بقدر من التعاون والتنسيق بين المنتمين إلى المدرسة. وتتميز المدرسة كذلك بوجود جمعية مهنية أو علمية لها نشاطاتها في النشر وتنظيم المؤتمرات والندوات والدورات التكوينية.

فالبناء الفكري ضمن المدرسة الفكرية الواحدة هو مجموعة الأفكار (المعتقدات) والآمال (المشاعر) التي تشكل رؤية الإنسان الفرد لنفسه، ولمجتمعه، ولتاريخ هذا المجتمع وحاضره ومستقبله، ولواقع العالم من حوله، وتاريخ هذا العالم، ولمنهج التغيير المطلوب

لإصلاح الواقع في مجتمعه وحل مشكلاته. ويشترك أعضاء المدرسة الفكرية الواحدة بمجمل هذه الأفكار والآمال.[1]

صحيح أن الأفكار والآمال في المدرسة الفكرية الواحدة قد لا تكون متطابقة تماماً، نظراً للاختلافات الفطرية بين الأفراد وتميز كل منهم عن الآخر، لكن القدر المشترك بين مجموعة الأفراد في المدرسة الواحدة يكفي لجعلهم مجموعة واحدة متميزة عن الأفراد في خارج المجموعة أو عن المجموعات الأخرى.

(١) أرجو أن لا يؤخذ هذا النص بوصفه التعريف "الجامع المانع"، بل يؤخذ على أنه صيغة من الصيغ التي نعبر بها عن مفهوم البناء الفكري، بمناسبة التمييز بين عنصرين في هذا البناء وهما: المدركات الاعتقادية، والمدركات الانفعالية.